بناء الشخصية الإسلامية
في تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام
-قراءة تربوية موازنة على وفق منهج الثقلين-

The Formation of the Islamic Personality in the Legacy of Imam Al-Hasan Al-Askari (PBUH): A Balanced Educational Reading Based on the Thaqalayn Methodology

الشيخ الدكتور عماد الكاظمي

العتبة الكاظمية المقدسة

Shrikh Dr. Imad Al-Kadhimy

The Holy Kadhimiya Shrine

بناء الشخصية الإسلامية في تراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام -قراءة تربوية موازنة على وفق منهج الثقلين-

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي الأمين، وعلى آله الأئمة الهداة المعصومين.

إنَّ التراث العلمي للأئمة عليهم السلام بحاجة إلى دراسة وتحليل، وبيان لأهمية التوفيق بينهم وبين الواقع الذي يعيشه الإنسان بصورة عامة؛ للتعرُّف على المنهج الإسلامي الرائد في إيجاد السبيل الذي يحقق للإنسان سعادته، وإنَّ التربية مسألة مهمة في حياة الإنسان، وبها تتقوَّم شخصيته نحو سلوك معيَّن، والإنسان على وفق فطرته يحاول أنْ يبحث عن كماله، والأخلاق تمثِّل إحدى مقومات الكمال للشخصية، بل من أهم مقوماته، والإسلام قد أكد على هذا الجانب من خلال مصادر تشريعاته المباركة.

وإنَّ للإمام الحسن العسكري عليه السلام أحاديث ووصايا متعددة مهمة قد تضمَّنتها المصادر الحديثية، وأحاول في هذه الصفحات من البحث قراءة ذلك قراءة تربوية موجزة موازنة على وفق منهج الثقلين (القرآن والعترة)؛ لبيان مدى توافقهما من حيث المبدأ والغاية في التربية وبناء الشخصية الإسلامية من جهة، وبيان الدروس المُفادة من ذلك من جهة أخرى؛ إحياء لتراثهم عليهم السلام وبناء مجتمع إسلامي قائم على المبادىء والقِيم الإلهية.

وقد تم اختيار أحاديث تربوية مختلفة ودراستها وبيان مدى أهميتها في بناء الشخصية الإسلامية وتربيتها، وتقسيم البحث على مباحث ثلاثة، وكل مبحث على مطلبين، تناول المبحث الأول: البناء الذاتي. والمبحث الثاني: البناء العقدي والفكري. والمبحث الثالث: البناء التربوي.

الكلمات المفتاحية:

الإمام الحسن العسكري عليه السلام، البناء الذاتي، البناء التربوي، الموعظة.

The Formation of the Islamic Personality in the Legacy of Imam Al-Hasan Al-Askari (PBUH): A Balanced Educational Reading Based on the Thaqalayn Methodology

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and blessings upon the trustworthy Prophet, and upon his purified Household, the infallible, guiding Imams. The intellectual and ethical legacy of the Imams (PBUT) demands careful study, critical analysis, and a conscious effort to harmonize their teachings with the realities of contemporary human life. This engagement enables us to grasp the pioneering Islamic methodology for achieving true human felicity. Education is a pivotal matter in human life, for it shapes an individual's character and directs their conduct toward a defined moral path. By nature, the human being strives to attain perfection, and ethics constitute one of the most essential components, the cornerstone, of personal perfection. Islam has emphatically underscored this dimension through its blessed legislative sources. Imam Al-Ḥasan Al-Askari (PBUH) has left behind numerous significant hadiths and counsels preserved in classical hadith sources. In this study, I undertake a concise yet balanced educational reading of these texts, guided by the methodology of Al-Thaqalayn, the Qur'an and the Prophet's purified Progeny (Ahl Al-Bayt) (PBUT) in order to demonstrate the fundamental harmony between the Qur'an and the Imams' teachings in principle and purpose regarding education and the construction of the Islamic personality, and extract the practical educational lessons embedded therein, thereby reviving their noble legacy and contributing to the formation of an Islamic society rooted in divine principles and values.

The research selects a range of educational hadiths, analyzes them, and elucidates their significance in shaping and nurturing the Islamic personality. It is structured into three main sections, each comprising two subsections. Section one titled Personal (Self) Development. Section two titled Doctrinal and Intellectual Development, and section three was Educational (Tarbiyyah-Oriented) Development.

key words: Imam Al-Ḥasan Al-Askai (pbuh), self-formation, educational formation, sermon.

مجلة تراث الإمامين
العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م

مقدمة:

إنَّ التربية مسألة مهمة في حياة الإنسان، وبها تتقوَّم شخصيته نحو سلوك معيَّن، والإنسان على وفق فطرته يحاول أنْ يبحث عن كماله، والأخلاق تمثل إحدى مقومات الكمال للشخصية، بل أهم المقومات، والإسلام قد أكد على هذا الجانب من خلال مصادر تشريعاته المباركة، قال تعالى مخاطباً نبيه الأكرم محمداً صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، وإنَّ بيان القرآن هذا الجانب من شخصية النبي والتأكيد عليه فيه دلالة كبيرة على أهمية ذلك من جهة، والحث على التأمل فيه من جانب آخر، فضلاً عن الدعوة للتأسِّي به حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾(٢)، والسنة الشريفة قد حثت على ذلك في كثير من الروايات الشريفة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَا يُوْضَعُ فِيْ مِيْزَانِ اَمْرِىءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»(٣).

فالأخلاق والتربية لهما أثر كبير في بناء الشخصية بصورة عامة، والإسلامية خاصة، والقرآن الكريم قد قرر هذه الحقيقة في الجانبين، ففي الأول يمكن الركون إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾(٤)، فالإحسان والإساءة موضوعان تربويان متقابلان عند الإنسان عامة، ويمكن معرفتهما بلا تأمل بل بأدنى توجه للعقل تجاههما، ومعرفة آثارهما على الفرد والمجتمع، ولا يمكن أنْ ينكر العقلاء ذلك، والقرآن الكريم إنما قرر هذه الحقيقة العقلية، غيرها من الآيات المباركة. وفي الأخرى فالقرآن بيَّن ذلك في موارد متعددة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ

(١) سورة القلم، الآية ٤.

(٢) سورة الأحزاب،الآية ٢١.

(٣) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١٤٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٧.

(٥) سورة الحجرات، الآية١١.

العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[١].

إنَّ الشخصية الإسلامية هي الشخصية القادرة على التحكُّم بالذات على وفق عقيدتها بالله تعالى، والقائمة بين العبد والمولى، والعقيدة الإسلامية لها فضل كبير على مناهج التربية التي تسعى لبناء الإنسان؛ لتأكيدها على دور الإيمان والعلم معاً في بناء شخصية الإنسان، فاستطاعت أنْ تجعل من ذلك الإنسان الجاهلي الباحث عن منافعه الذاتية الخاصة أنْ يضحِّي بالنفس والنفيس في سبيل دينه ومجتمعه، وبلغَتْ آفاق التحوُّل في نفسه إلى المستوى الذي يُؤثِرُ فيه مصالح أبناء جنسه على منافع نفسه[٢]، وقد أشار تعالى إلى هذه الصفة الكبيرة في هذا التحوُّل العقدي التربوي الكبير بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

وإنَّ من أهم صفات الشخصية الإسلامية:

أولاً: الراحة النفسية ونعيم الآخرة: وهي مفتاح السعادة في هذه الدنيا؛ لأنَّ السعادة لا تقاس بكمية الأموال المخزونة عند الإنسان، ولا بعدد الأولاد أو البنات.

ثانياً: الإيجابية: ومعناها الاهتمام بالقضايا العامة، وتكون مصاديق الاهتمام على مراتب متعددة حسب المقام.

ثالثاً: الحركية، فالشخصية الإسلامية ليست جامدة، إنما هي شعلةٌ من نورٍ يهدي العباد بسلوكه المرسوم من الله تعالى.

رابعاً: التغيرية، فتغيير الأمة نتيجة حتمية لتكوين شخصيات إسلامية؛ لأنَّ الشخصيةَ الإسلاميةَ إسلامٌ متحركٌ أولاً، ولأنه عنصرُ الإشعاعِ بفكرته ومبدئه ثانياً، فهو لا يكتفي أنْ يكون إنساناً صالحاً وإنما هو مُغَيِّرٌ لأبناء أمته لتكثير عدد الصالحين منهم للتقرب إلى الله تعالى.

خامساً: القيادية، فإنَّ الشخصيةَ الإسلامية لا تخضع لتأثيرِ مجتمعٍ، أو محيطٍ، أو بيئةٍ، أو عادةٍ، أو وراثةٍ، ولا تتخاذل في الميدان، فإنها ترغم الناس لإطاعتها بوصفها الوجه التطبيقي لنظام الله للبشر

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) ينظر: ذهبيات، عباس، دور العقيدة في بناء الإنسان، ص٤٢-٤٣.

(٣) سورة الحشر، الآية ٩.

الذي بعث لهداية الناس وقيادتهم إلى الحياة الحرة الكريمة وإلى نعيم الآخرة[١].

ولا يخفى أنَّ الرجوع إلى مَصْدَرَي التشريع (القرآن والسنة) في بناء الشخصية الإسلامية هو أهم منهج تربوي، وهذا ما سيتم بيانه في صفحات هذا البحث بما ورد عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام من أحاديث تربوية لها أثر في تربية الشخصية الإسلامية وصلاحها من جهة، وإصلاح المجتمع من جهة أخرى، وسيكون ذلك من خلال تقسيم البحث على مباحث ثلاثة، وكُلُّ مبحث على مطلبين كالآتي:

- المبحث الأول: البناء الذاتي.

المطلب الأول: التواضع.

المطلب الثاني: الموعظة.

- المبحث الثاني: البناء العقدي والفكري.

المطلب الأول: الإيمان بالله ونفع الإخوان.

المطلب الثاني: التفكر.

- المبحث الثالث: البناء التربوي.

المطلب الأول: حقوق الإخوة.

المطلب الثاني: الأسرة.

---

(١) الشيخ علي، حسن محمد، الشخصية الإسلامية مقوماتها، معالمها، نتائجها، ص٤٦.

المبحث الأول

البناء الذاتي

إنَّ أحاديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أكدت على هذا الجانب من بناء الشخصية الإسلامية في موارد متعددة، ونتحدث عن ذلك في مطلبين يتعلق الأول بالتواضع، والآخر بالموعظة.

المطلب الأول: التواضع.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«مَنْ رَضِيَ بِدُوْنِ الشَّرَفِ مِنَ الْمَجْلِسِ، لَمْ يَزَلِ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّوْنَ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُوْمَ»(١).

إنَّ التواضع من الصفات الممدوحة عند العقلاء، وهي من فضائل الأخلاق التي يجب أنْ يتحلَّى الإنسان بها عامة، والمؤمن خاصة. ويقابلها (الكِبر) وهو من الصفات المذمومة، فيجب أنْ يراعي الإنسان هذه المفردة الأخلاقية التي تعبِّر عن حقيقته من جهة، وتؤكد تربيته الإيمانية من خلال مدى تمسكه بتعاليم الشريعة المقدسة من جهة ثانية، والدعوة إلى الامتثال لتلك التعاليم في سلوكه العملي الذي يظهر عليه من جهة ثالثة.

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٠.

لقد آعتنى علماء الأخلاق بهذه الصفة وحاولوا بيان كُلِّ ما يتعلق بها من حيث أسبابها وغاياتها وآثارها، وقال في بيان تعريفها الشيخ محمد مهدي النراقي قدس سره (ت١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م): «هُوَ آنْكِسَارٌ لِلنَّفْسِ يَمْنَعُهَا مِنْ أنْ تَرَى لِذَاتِهَا مَزِيَّةً عَلَى الْغَيْرِ، وَتَلْزِمَهُ أَفْعَالٌ وَأَقْوَالٌ مُوْجِبَةٌ لِاسْتِعْظَامِ الْغَيْرِ وَإِكْرَامِهِ»(٢)، وهذا التعريف في ظاهره يؤكد على موضوعين مهمين لهما علاقة بانطباق التعريف على الإنسان المتواضع، ويمكن إجمالهما بالآتي:

١- الأثر الباطني في النفس الإنسانية ومدى تأثُّرها بذلك، وهي قوة معنوية داخلية لها سلطة على التفكير آبتداء، وعلى السلوك آنتهاءً، ورؤيتها إلى الآخرين.

٢- الأثر الواقعي الذي يعكس الأثر الباطني للنفس الإنسانية من خلال (الأقوال، والأفعال)، فالأقوال صورة لذلك الانكسار الحقيقي باللسان، والأفعال هي صورة واقعية أخرى تترجم ذلك الخلق الباطني.

والتواضع ليس مجرد كلمات يترنَّم

(٢) النراقي، الشيخ محمد مهدي، جامع السعادات، ج١، ص٣٨١.

بها الإنسان، أو أفعال معينة تصدر منه، بل يجب أنْ تكون مَلَكَةً في نفسه؛ ليستطيع من خلالها أنْ يؤدي رسالته الإنسانية والإيمانية في المجتمع، ويبرز آثارها لتكون شاخصة للآخرين، وكانت من أعظم صفات النبي صلى الله عليه وآله في الأمة، حيث قال تعالى في بيان ذلك: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[1].

وإنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام يُظْهِر لنا في هذا الأمر صورة واقعية من الصور التي يعيشها الإنسان في المجتمع، وعند تعامله مع الآخرين لها علاقة وثيقة بالتواضع، فقوله: «مَنْ رَضِيَ بِدُوْنِ الشَّرَفِ مِنَ الْمَجْلِسِ، لَمْ يَزَلِ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّوْنَ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُوْمَ»، فالحديث ظاهر في دلالته من الناحيتين العملية (الأثر الواقعي) الذي يترجم الناحية العلمية (الأثر الباطني)، والذي يتطلب جهاداً صادقاً للنفس، تظهر آثاره سلوك على الفرد في المجتمع، وبناء العلاقات الإنسانية القائمة على محبة الآخرين.

إنَّ هذا الحديث للإمام الحسن العسكري عليه السلام من الأحاديث التي نرى أهمية إيجادها في العلاقات الاجتماعية والتمسك به، وما في ذلك من آثار إيجابية فردية ومجتمعية، وإنَّ عدم الامتثال لتلك التعاليم يكون سبباً رئيساً لمشاكل واختلافات متعددة، فضلاً عن خسران ذلك الثواب العظيم الذي أعده الله تعالى لعباده المتواضعين حيث الآثار الكبيرة لها (لَمْ يَزَلِ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّوْنَ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُوْمَ)، وفي ذلك يتحقق المعنى التام لمصداق (العبودية).

وإنَّ هذا الخُلُق الرفيع الذي يتخلَّق به الإنسان المؤمن إنما هو نعمة من نِعَم الله تعالى يُنعمها على عبده، وعلى العبد أنْ يؤدي شكرها بامتثاله للتعاليم المقدسة، ولكن الناس -للأسف- على وفق جهلهم بحقيقة هذه النعمة وأثرها على النفس وآثارها في المجتمع، فهم غافلون عنها؛ لذلك لا يحسدون أصحابها عليها، ولا يتسابقون نحوها، مع أنها كنز معنوي كبير يستحق الحسد أو الغبطة لعظمته، والإمام الحسن العسكري عليه السلام يشير على هذه الحقيقة بأسلوب لطيف في إحدى روائعه التربوية إذ يقول: «التَّوَاضُعُ نِعْمَةٌ لَا يُحْسَدُ

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

عَلَيْهَا»[1].

وهناك روايات متعددة في بيان ما يتعلق بهذه المفردة المهمة من مفردات الأخلاق في النظام الإسلامي لأجل بيان الآثار التربوية التكاملية على الفرد والمجتمع، ومنها:

- روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَا لِيَ لَا أَرَى عَلَيْكُمْ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ؟ قَالُوْا: وَمَا حَلَاوَةُ الْعِبَادَةِ؟ قَالَ: التَّوَاضُعُ»[2].

فالتواضع من الموضوعات التي لها علاقة بعبادة العبد لله تعالى، بل هو له طعم خاص في العبودية؛ حيث بيان مدى تأثُّر الإنسان في بيان حقيقة العبودية، القائمة على فضائل الأخلاق، وهذا الحديث فيه إشارة إلى أهمية ذلك، والحث على الدعوة إلى مكارم الأخلاق وفضائلها[3].

- وروي عنه صلى الله عليه وآله: «تَوَاضَعُوْا حَتَّى لَا يَبْغِيْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[4].

إنَّ في الحديث بيان وهم على آثار التواضع في الحفاظ على المجتمع من أي آنحراف أخلاقي، من خلال حفظ حقوق الآخرين، والتمسك بالواجبات التي يجب أنْ يكونوا عليها، وهذا السبيل هو أحد تلك السبل التي تحافظ على المجتمع من الاعتداءات المعنوية والمادية فيما بينهم.

- روي عن الإمام علي عليه السلام: «التَّوَاضُعُ يَنْشُرُ الْفَضِيْلَةِ»[5].

إنَّ الإمام عليه السلام يبيِّن الآثار العملية التربوية للتواضع، وما يمكن بيانه من خلال سلوك أصحابه، ولَمَّا كان الإسلام في نظامه يدعو إلى بيان ذلك، فقد بيَّن الحديث أحد تلك المناهج التربوية في نشر الفضائل، فبالتواضع تنتشر المحبة بين الجميع، والإحسان والتعاون والمساعدة وغيرها من مفردات الفضيلة، هي دعوة نحو بناء فرد ومجتمع صالِحَيْن.

ولأهمية هذه الخصلة في بناء العلاقات العامة فإنَّ الإمام العسكري عليه السلام يذكر لذلك مثالين واقعيين في الحياة العامة، وفي ذلك كمال عنايتهم بتربية المؤمنين على الأخلاق الفاضلة، حيث قال عليه السلام في رائعة

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٣.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة،ج٨، ٣٥٥٤ باب (التواضع) الحديث ٢١٨٢٥.

(٣) للتفصيل في بيان تلك الآثار وما يتعلق بها ينظر: المامقاني، الشيخ عبد الله، مرآة الكمال لمن رام مدارك الأعمال، ج٢، ص٢٧٧-٢٨٠.

(٤) المصدر نفسه، الحديث ٢١٨٦٩.

(٥) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٣.

العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م

تربوية ثالثة في هذا الأمر: «مِنَ التَّوَاضعُ السَّلَامُ عَلَى كُلِّ مَنْ تَمُرُّ بِهِ، وَالْجُلُوسُ دُوْنَ شَرَفِ الْمَجْلِسِ»[١]. وهذان الأمران هما:

١- السلام على الآخرين.

إنَّ السلام بصورة عامة هو من الأخلاق الإسلامية التي أكدت عليها تعاليم الشريعة المقدسة وبيان آثارها التربوية في بناء المجتمع، قال تعالى في بيان تنظيم هذه العلاقات بصورة عامة عن طريق السلام والتحية: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً**﴾[٢]، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ قَالُوْا: بَلَى يَا رَسُوْلَ الله. فَقَالَ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ فِيْ الْعَالَمِ»[٣] فالحديث الشريف يؤكد أهمية إفشاء السلام وآثاره على التربية، وفي ذلك دلالة واضحة على المنهج الإسلامي التربوي الخاص، ودالة على التواضع في الجانب العملي، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ التَّوَاضُعِ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى مَنْ لَقِيْتَ»[٤].

٢- الجلوس وآثاره.

إنَّ اعتناء النظام الإسلامي بهذه الموضوعات فيه دلالة على أهمية الإنسان عند الله تعالى والحفاظ على تصرفاته المختلفة، والجلوس إحدى تلك الموضوعات التي لها أثر في العلاقات العامة، والمجتمع يرى لها أثراً في تصرفات الآخرين، والحديث يؤكد على أنَّ من آثار تواضع العبد أنْ لا يجعل لنفسه جلسة خاصة متميزة عن الآخرين، بل يكون جلوسه في أي مكان من المجلس؛ ليكسر بذلك تكبر النفس وأنانيتها، وفي ذلك روايات متعددة في المنهج نفسه الذي أشار إليه الإمام العسكري عليه السلام في حديثه، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ مِنَ التَّوَاضُعِ أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ دُوْنَ شَرَفِهِ»[٥].

المطلب الثاني: الموعظة.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرّاً فَقَدْ زَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَّةً فَقَدْ شَانَهُ»[٦].

إنَّ الموعظة من المفردات الأخلاقية المهمة في التشريع الإسلامي؛ لما له من

(١) الحراني، تحف العقول ص٣٦١.

(٢) سورة النساء، الآية٨٦.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٣، ص١٢.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٢٠.

(٥) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١٢٣، باب (التواضع) الحديث ٨.

(٦) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٣.

أثر في بناء العلاقات المختلفة في المجتمع؛ ولأجل ذلك نرى آعتناء النصوص الشرعية به، وقد أكد القرآن الكريم على أنَّ الموعظة الحسنة هي إحدى مقومات الدعوة إلى الله تعالى، ويجب أنْ تكون الدعوة قائمة عليها، وفي ذلك بيان أهميتها ومقامها وتأثيرها في النفوس، حيث قال تعالى: ﴿**آدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]. قال السيد الطباطبائي قدس سره (ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) في بيان مقام الموعظة الحسنة في الدعوة الإلهية: «والتأمل في هذه المعاني يعطي أنَّ المراد بالحكمة -والله أعلم- الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام. والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرقُّ له القلب؛ لما فيه من صلاح حال السامع من الغبر والعبر، وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك... غير أنه سبحانه قيَّد الموعظة بالحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ففيه دلالة على أنَّ من الموعظة ما ليست بحسنة، ومن الجدال ما هو أحسن وما ليس بأحسن ولا حسن، والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة، ومن الجدال بأحسنه»[2].

وحديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام يؤكد على هذه الموعظة الحسنة التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية المتقدمة، بل أكد عليها في آية أخرى حيث قال تعالى فيما يتعلق بميثاق بني إسرائيل وتعاليمه عز وجل: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[3]، وفي ذلك كمال التربية الفردية والاجتماعية وتأسيس العلاقات القائمة على المحبة والإحسان، قال الشيخ الطبرسي قدس سره (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) في بيان المراد من (القول الحسن) في تنظيم هذه العلاقات الاجتماعية: «وقال الربيع بن أنس ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾ أي معروفاً. وروى جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾ قال: قولوا للناس أحسن ما تحبون أنْ يقال لكم، فإنَّ الله يبغض اللعَّان السبَّاب الطعَّان على المؤمنين، الفاحش المتفحِّش، السائل الملحف، ويحب الحليم

(١) سورة النحل،الآية١٢٥.

(٢) الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن،ج١٢، ص٣٧٢.

(٣) سورة البقرة،الآية٨٣.

مجلة تراث المشارع
العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م

العفيف المتعفف»[١]، فالتأمل في حديث الإمام الباقر عليه السلام يتبيَّن وحدة المنهج القائم بالرجوع إلى الثقلين (القرآن والعترة)، وما فيه من بيان سبل المحبة من قبل الله تعالى لعباده، وأهمية التمسك بذلك.

ومما يجب بيانه أنَّ حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام يمكن بيانه من جهتين: الأولى: تتعلق بأهمية الموعظة في أُسس العلاقات الإنسانية.

والأخرى: تتعلق بالمنهج الإسلامي للموعظة وكيفيتها.

أمَّا الجهة الأولى فقد أكدت الروايات الشريفة الواردة عن النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) على ذلك، وما فيه من آثار تربوية كبيرة في صلاح الفرد والمجتمع، فضلاً عمَّا تقدم من الآيتين المباركتين، منها:

- روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الْمَوَاعِظُ حَيَاةُ الْقُلُوْبِ»[٢].

إنَّ الإمام يبيِّن آثار الموعظة على الإنسان وأهميتها، والتي تتجلى بيقظة النفس وعدم الغفلة عن كُلِّ ما يصلحها، وهذه الموعظة يمكن رؤية آثارها الكبيرة على قدر صدقها، ومجاهدة النفس للتمسُّك بها؛ حيث تكون آثار الأعمال حاضرة عند صاحبها، فيجعل من ذلك سبيلاً لصلاحه.

- وروي عنه عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام: «أَحْيِيْ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ»[٣]. إنَّ هذه الوصية المباركة تظهر أهمية الموعظة وآثارها على أهم شيء يجب أنْ يحافظ عليه الإنسان من المرض والانحراف وهو (القلب)، فالحديث يؤكد على العلاقة الوثيقة بين الموعظة وحياة القلب، وما في ذلك من آثار مباركة للموعظة.

وأما الجهة الأخرى، فلا يخفى ما في (الموعظة سرّاً) من الآثار الإيجابية على النفس، ومدى قبولها والتفاعل معها، وحفظها للكرامة، وهي دعوة تربوية رائعة من دعوات الثقلين في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية، وكذلك الحال في

(١) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن،ج١، ص٢٨٦.

(٢) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٦٥.

(٣) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة،ج٣، ص٤٤.
وينظر ما تم بيانه من آثار الموعظة: الكاظمي، عماد، الملامح التربوية في نهج البلاغة وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام، ص٤٧-٥٢.

الآثار السلبية على النفس في (الموعظة علانية)، والواقع يترجم ذلك، فكم من علاقات المحبة أُسست بعد الموعظة سرّاً.

وهذا كله إنما يؤتي آثاره التربوية الإيجابية على الفرد والمجتمع بعد أنْ يكون الواعظ قد آتصف بمقومات ثلاثة:

الأول: المعرفة. حيث إنها أساس الإحاطة بالمبدأ والغاية، ومعرفة سبل الوصول لتحقيق تلك الغايات، بل إنها أساس العطاء والتضحية من أجل الغايات السامية، وجهاد النفس.

الثانية: الصدق. فالصدق في الموعظة، والعلاقة القائمة على الصدق تؤدي إلى إتيان ثمارها الطيبة، فضلاً عن بذل الجهد من أجل صلاح الآخرين ونجاتهم.

الثالثة: المودة. والمودة من أسباب الدعوة نحو الخير والصلاح، وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الشخصية والأنانية، من خلال سلوك تربوي عملي.

إنَّ هذه المقومات الثلاثة لها أثر كبير في بناء الشخصية الإسلامية من جهة، وبناء مجتمع صالح يدعو إلى الخير، كما قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1].

أخيراً إنَّ حديث الإمام العسكري عليه السلام يؤكد ضرورة الحفاظ على العلاقات الأخوية بين المؤمنين (مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ) فالأخوة الإيمانية لها خصوصيات في وصايا الشريعة المقدسة، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرِ، وَجَذَبَكَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَكَ بِالْبِرِّ، وَأَعَانَكَ عَلَيْهِ»[2]، وعنه عليه السلام قوله: «خَيْرُ إِخْوَانِكَ مَنْ دَلَّكَ عَلَى هُدًى، وَأَكْسَبَكَ تُقًى، وَصَدَّكَ عَنِ اتِّبَاعِ هَوًى»[3].

وهذا كله يؤكد منهج الإمام العسكري عليه السلام في التربية والإصلاح وبناء الشخصية الإسلامية، وتقويمها على وفق روابط مقدسة متعددة.

ونستنتج مما تقدم في هذا البحث أن بناء الشخصية وفق تراث الإمام الحسن العسكري عليه الصلاة والسلام يتضمن بتحلي ذات الفرد بسمتي التواضع والموعظة، حيث إن كلما زاد في ممارسة

---

(١) سورة آل عمران،الآية١٠٤.

(٢) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٩٦.

(٣) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٩٦.

التواضع ابتعد عن الغرور والتكبر وزاد فرص تعلمه وكثر خبراته واسهامه في بناء مجتمع بعيد عن الصخب يسوده السلام. كما ان الشخصية التي تتسم بالموعظة تمتلك ذات تسعى باستمرار نحو التعلم والتعليم من اجل ارشاد الناس إلى السبل الصحيحة لمواجهة مختلف مواقف الحياة، وهذا مما يعود على المجتمع بالامن والصلاح، ولا فراده بالمودة.

المبحث الثاني

البناء العقدي والفكري

إنَّ أحاديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أكدت على هذا الجانب من بناء الشخصية الإسلامية في موارد متعددة، وهو من أهم بناء للشخصية يجب بيانه والعمل عليه، ونتحدث عن ذلك في مطلبين يتعلق الأول بالإيمان بالله ونفع الإخوان، والآخر بالتفكر.

المطلب الأول: الإيمان بالله ونفع الإخوان.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «خِصْلَتَانِ لَيْسَ فَوْقَهُمَا شَيْءٌ: الْإِيْمَانُ بِاللهِ، وَنَفْعُ الْإِخْوَانِ»[1].

إنَّ تعاليم الشريعة المقدسة في فقرات نظامها الكامل قد أعدت للإنسان سبل الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وعلى الإنسان أنْ يبحث عنها ليتعرَّف عليها من جهة، ثم يعمل بها من جهة أخرى، ويدعو الآخرين إلى التمسك بها من جهة ثالثة، وهناك سبل مختلفة وكثيرة تؤدي إلى ذلك الثواب، وإلى رضوان الله تعالى ونعيمه الأبدي، فالقرآن الكريم قد أشار إلى ذلك تارة، والسنة الشريفة في رواياتها المختلفة أشارت إلى ذلك تارة أخرى، والإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أكد ذلك في هذه الحكمة المباركة؛ إذ يبيِّن المنهج التربوي الذي يحتاج إليه الإنسان لأجل تلك التجارة، والحصول على آثارها المادية والمعنوية، فمنها ما يتعلق بالعقيدة، ومنها ما يتعلق بالعمل الصالح في المجتمع (الْإِيْمَانُ بِاللهِ، وَنَفْعُ الْإِخْوَانِ).

إنَّ هذا الحديث فيها أبعاد مهمة جدّاً في بناء الشخصية الإسلامية، بناءً عقديّاً وتربويّاً قائماً على العلم والعمل معاً، وهو من أهم مناهج الإصلاح الفردي والاجتماعي، والقرآن الكريم قد

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م

حث على ذلك في موارد كثيرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣].

إنَّ تأكيد الإمام العسكري عليه السلام في هذه الرواية على الخصلة الأولى (الإيمان بالله) يؤكد ما ورد من روايات عن النبي وأهل بيته عليهم السلام في بيان أثر الإيمان بالله تعالى على بناء الشخصية وهي كثيرة، نذكر منها:

١- روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «لَيْسَ الْإِيْمَانُ بِالتَّحَلِّيْ وَلَا بِالتَّمَنِّيْ، وَلَكِنَّ الْإِيْمَانَ مَا خَلُصَ فِيْ الْقَلْبِ، وَصَدَّقَهُ الْأَعْمَالُ»[٤].

إنَّ الحديث الشريف يؤكد على بيان حقيقة الإيمان في هذه الثنائية المباركة (الإخلاص والصدق) التي يجب أنْ يكون المؤمن عليها، وهو الانتماء الحقيقي الواقعي لا الانتماء الظاهري القولي، فالإيمان بالله تعالى هو منهج إلهي جعله الله تعالى لعباده ضمن نظامه التكاملي، وهناك علاقة وثيقة بين الإيمان كعقيدة والعمل كسلوك، فيجب العمل على ترجمة العقيدة ترجمة واقعية، تؤكد مدى أثر الإيمان على صاحبه في بناء شخصيته، فهو ليس شعار يتحدث به المؤمن، وإنما هو رسالة عقدية لها آثاره المتعددة على الفرد والمجتمع.

٢- روي عن الإمام علي عليه السلام: «بِالْإِيْمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيْمَانِ، وَبِالْإِيْمَانِ يَعْمُرُ الْعِلْمُ»[٥].

إنَّ الحديث يؤكد على ثلاثية مهمة في النظام الإسلامية لبناء الشخصية وهي قائمة على (الإيمان والعلم والعمل) وهذه الثلاثية المترابطة –حقيقة– هي أساس بناء العقيدة في الشريعة الإسلامية المقدسة، حيث يترجم بعضها بعضاً وتؤدي إلى ثمار كبيرة في الواقع على مستوى الفرد والمجتمع، ومن المهم العمل على أساسها،

(١) سورة الصف، الآيات ٦١-٦٣.

(٢) سورة البينة، الآية ٧.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٦، ص٧٢.

(٥) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج٢، ص٦٣.

بل وتربية الجيل على وفقها، من دون التفريط بأي منها.

٣- روي عن الإمام الجواد عليه السلام: «لَنْ يَسْتَكْمِلَ الْعَبْدُ حَقِيْقَةَ الْإِيْمَانِ حَتَّى يُؤْثِرَ دِيْنَهُ عَلَى شَهْوَتِهِ، وَلَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤْثِرَ شَهْوَتَهُ عَلَى دِيْنِهِ»(١).

إنَّ الحديث ظاهر في بيان أثر العقيدة في بناء الشخصية الإسلامية وتربيتها عقديّاً وتربويّاً، مع إبراز مقام الإيمان في تهذيب سلوك الإنسان في صراعه مع الشهوات المختلفة، والتي يتم على أساسها نيل طاعته الله تعالى ورضوانه، كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾(٢)، فالمؤمن يجب أنْ يكون في رقابة شديدة لشهواته؛ ليصل في تكامله إلى حقيقة الإيمان.

وأمَّا تأكيد الإمام العسكري عليه السلام على الخصلة الثانية (نفع الإخوان) ومصاحبتهم بالحسنى على أساس الإخوة الإيمانية القائمة على الإخلاص والصدق والمحبة وآثارها في بناء الشخصية والمجتمع على أسس إيجابية فالروايات الواردة عن النبي والأئمة عليهم السلام في بيان ذلك وتأكيده وآثارها التربوية كثيرة، نذكر منها:

١- روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «خَيْرُ إِخْوَانِكُمْ مَنْ أَهْدَى إِلَيْكُمْ عُيُوْبَكُمْ»(٣).

إنَّ المنفعة الحقيقية التي يمكن مراعاتها في العلاقات بين الإخوان هي القائمة على الصدق والنصح وتبادل الأفكار فيما بينهم من أجل التكامل، وهذا التكامل الفردي أو المجتمعي إنما يتم حصوله إذا كان أساس هذه العلاقة ذلك، وهذا يستوجب على المؤمنين أنْ يكونوا في غاية الحذر عند بيان عيوب بعضهم لبعض، حيث يكون ذلك البيان قائم على أساس المحبة والوصول إلى التكامل، والحديث يؤكد أنَّ هذا المنهج التربوي في العلاقات هو من المناهج المهمة السليمة في الحفاظ على الإخوة الإيمانية، بل يجب أنْ تكون على أساس ذلك بعيدة عن الكذب والإغواء، فهي دعوة من النبي صلى الله عليه وآله إلى مراعاة جانبين مهمين في العلاقات الأخوية، الأول أنْ تكون قائمة على الصدق والمحبة عند الأخ الناصح في بيان العيب. والأخرى قائمة على التواضع ورحابة الصدر في آستقبال تلك النصيحة.

(١) الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، ج٣، ص٤٩٣.

(٢) سورة النازعات، الآيات ٤٠-٤١.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١، ص٤٦، باب (الأخ) الحديث ٢٧٦.

والأمر في كلا الجانبين بحاجة إلى شخصية إيمانية كما تقدم في بيان الخصلة الأولى من حديث الإمام العسكري عليه السلام.

٢- روي عن الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ أَخَاكَ حَقّاً مَنْ غَفَرَ زَلَّتَكَ، وَسَدَّ خِلَّتَكَ، وَقَبِلَ عُذْرَكَ، وَسَتَرَ عَوْرَتَكَ، وَنَفَى وَجَلَكَ، وَحَقَّقَ أَمَلَكَ»(١).

إنَّ الحديث الشريف يُظهر جانباً مهمّاً من جوانب العلاقات الأخوية وهو بيان ومعرفة مقومات تلك العلاقة، وهو يشير إلى منهج معيَّن تتقوَّم الشخصية من خلاله، وقد أشار إلى صفات ست لها أثر كبير في التربية الاجتماعية، وبناء مجتمع قائم على علاقات إنسانية وإيمانية كبيرة، وهذا يؤكد المنهج المتكامل للنظام الإسلامي في تحقيق سعادة الإنسان. ولو تتبعنا جميع المناهج التربوية الوضعية لما رأينا هذا البُعد الإنساني في العلاقات الاجتماعية، وهذه الروح الطيبة القائمة على وفق العقيدة، والبعيدة عن الأنانية التي هي أساس التجاوز والاعتداء في العلاقات المختلفة، وهذا لا يمكن تحقيقه في بناء الشخصية الإسلامية إلا بعد تحقق الخصلة الأولى القائمة على الإيمان بالله تعالى من الحديث المبارك.

٣- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «تَحْتَاجُ الْإِخُوَّةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ، فَإِنِ اسْتَعْمَلُوْهَا وَإِلَّا تَبَايَنُوْا وَتَبَاغَضُوْا، وَهِيَ: التَّنَاصُفُ، وَالتَّرَاحُمُ، وَنَفْيُ الْحَسَدِ»(٢).

إنَّ هذا الحديث المبارك يسلِّط الضوء على زاوية مهمة أخرى من زوايا ملامح العلاقات الأخوية التي يجب أنْ تكون بين المؤمنين، وقد ذكر صفات ثلاثاً لها ذلك الأثر الكبير في ديمومة العلاقة، وأهمية العمل على التمسك بها والدعوة إليها، وعدم التواني أو الاستخفاف بها من جانب؛ لآثارها الكبيرة على بناء المجتمع، والتحذير من عدم الالتزام بها من جانب آخر؛ لأنَّ نتيجة ذلك البغضاء والعداوة وضعف العلاقات الاجتماعية وتفكك المجتمع، وهذا لا يليق تماماً بالمجتمع الذي يرتبط عقديّاً بالله تعالى.

إنَّ الإمام العسكري عليه السلام في هذا الحديث أراد أنْ يوجِّه الأمة نحو بيان منهجها التربوي الصالح لأداء رسالتها الإيمانية، وبناء مجتمعها على أساسه، والواقع يؤكد أنَّ أسباب انهيار المجتمعات

(١) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٢٠.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص٢٣٥.

العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م

هو آبتعادها عن هذه المناهج الإلهية، وعلى الأمة الرجوع إليها للأمان من كُلِّ ضلال وآنحراف.

المطلب الثاني: التفكر.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«لَيْسَتِ الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِيْ أَمْرِ اللهِ»(١).

إنَّ تعاليم الشريعة المقدسة قد آعتنت كثيراً في الجانب الفكري للإنسان عامة، وللمؤمن خاصة؛ لأهمية التفكُّر بحقيقة الوجود، وما يمرُّ به الإنسان من مراحل متعددة منذ ولادته إلى وفاته، والعوالم التي تنتظره في رحلته الغيبية إلى الآخرة؛ بما يستدعي منه التأمل والتدبر فيما ورد عن ذلك، والوصول إلى الحقيقة الأولى المتعلقة بالخالق (الله)، وآثار ذلك في البناء الفكري للإنسان، وعلاقته بحقيقة العبادة لله تعالى، وأهمية ذلك في أداء الفرائض المختلفة.

وإنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أشار إلى هذه المسألة وبيان أهميتها، وعلاقتها في بيان حقيقة العبادة في هذه الحكمة المباركة، فهو يؤكد العلاقة الوثيقة بين التفكُّر في أمر الله تعالى وعبادته، وفي ذلك تنمية لبناء الشخصية بناء قائماً على العقيدة الراسخة، التي تستند إلى الدليل المحكم على وجود الخالق ومعرفة آثاره في خلقه، والعلاقة التي يجب أنْ تكون بين الخالق والمخلوق، والتي هي في الواقع علاقة (العبودية)، والوصول إلى أسرار قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾(٢).

إنَّ القرآن الكريم قد حث على التفكُّر في موارد متعددة؛ لبيان أهمية هذه النعمة العظيمة (العقل) التي أنعم بها على عباده في الوصول إلى مجهولات خفيَّة متعددة، تكمن فيها أسرار كبيرة تستحق التأمل والتدبر؛ لبيان عظمة الخالق وآستحقاقه العبودية، حيث قال تعالى في بيان الآيات العظيمة التي تحيط بهذا الوجود، والتي لا بد من التأمل فيها: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا**

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦١.

(٢) سورة الذاريات، الآية٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية٩١.

مجلة نور المعارف
العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)، وقال تعالى: **﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**(٢) وغيرها من الآيات المباركة الكثيرة التي تؤكد عظمة الشريعة الإسلامية المقدسة في دعوتها القائمة على العلم والتفكر والتدبر والاستدلال، وليس على الخرافة أو الجهل والتقليد.

إنَّ هذا البناء الفكرية الذي يؤكده الإمام العسكري عليه السلام في الحديث إنما يتطلب التفكُّر في حقيقة المعبود أولاً، ثم في العبادات التي أرادها الله تعالى من عباده، أي التفكُّر في عظمة المشرِّع وغناه المطلق عن العباد ثم في تشريعاته، وإنما كان تأكيده على (الصلاة والصيام) لأنهما من أشهر العبادات التي يؤديها المكلف، ولكنَّ مدى الإقبال على هذه العبادة إنما يتوقف على المعرفة بحقيقتها، فالمعرفة والتفكُّر من أهم الدوافع إلى تعظيم العبادة والمعبود.

وإنَّ هذا البناء قد أكدت عليه روايات متعددة عن النبي والأئمة عليهم السلام تبيِّن أهميته وآثاره في بناء الشخصية الإسلامية، ومنها:

١- روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيْرِ، كَمَا يَمْشِيْ الْمُسْتَنِيْرُ فِيْ الظُّلُمَاتِ بِالنُّوْرِ، يُحْسِنُ التَّخَلُّصَ، وَيُقِلُّ التَّرَبُّصَ»(٣).

إنَّ الحديث يبيِّن العلاقة الوثيقة بين التفكُّر وإعمار القلب بنور البصيرة، فالقلب يحتاج إلى ذلك النور المعنوي لتتحقق (البصيرة)، كما إنَّ العين بحاجة إلى النور المادي ليتحقق (البصر)، والبصيرة هي أساس معرفة حقائق الأمور، والوصول إلى دقائقها، وهذا لا يكون إلا بالتفكُّر والتأمُّل بهذا الوجود والموجودات الدالة على عظمة الموجِد له وهو الله تعالى.

٢- روي عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ طَالَتْ فِكْرَتُهُ حَسُنَتْ بَصِيْرَتُهُ»(٤).

إنَّ الإنسان على وفق طبيعة خلقه لا بد من حاجته إلى التفكُّر، فالعقل الذي يمتاز به عن المخلوقات الأخرى هذا هو شأنه وفطرته هو التفكُّر، والذي لا يؤدي هذا الغرض إنما قد عطَّل نعمة

(١) سورة الرعد،الآية٣.

(٢) سورة الروم،الآية٢٤.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٧.

(٤) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٤٩.

مجلة تراث الشخصية
العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م

عظيمة أنعمها الله تعالى عليه، ولا يمكنه أنْ يصل إلى حقيقة هذا الوجود، أما الذي كان في تفكُّر دائمٍ فهو أكثر معرفةً وتعظيماً وخشيةً لله تعالى، وهذه لها آثار كبيرة في بناء شخصيته.

٣- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِدْمَانُ التَّفَكُّرِ فِيْ اللهِ وَقُدْرَتِهِ»(١).

إنَّ الحديث يؤكِّد على مفهوم جديد للعبادة يختلف عمَّا يراه الناس من أنَّ العبادات هي إقامة الفرائض وغير ذلك، بل إنَّ التفكُّر في حقيقة المعبود هو من العبادة، أو هو أهم أبواب العبادة؛ إذ به يتم تعظيم المعبود، وتعظيم الفرائض وغير ذلك من أمور عظيمة مختلفة.

إنَّ حديث الإمام العسكري عليه السلام فيه دعوة كبيرة إلى أهمية أنْ يكون بناء المؤمن لشخصيته الإيمانية على عقيدة ثابتة راسخة على وفق الأدلة القائمة على حقيقة المعبود وعظمته؛ ليكون أداؤه للفرائض على أحسن حال من تعظيم وتوقير للشريعة المقدسة، وهي دعوة إصلاحية وتربوية للشخصية الإسلامية، فضلاً عن تربيتها تربية خاصة تظهر آثارها على سلوكه الفردي والاجتماعي.

وتستنتج من أحاديث الإمام عليه الصلاة والسلام ووفق منهج التقلين أن بناء شخصية قوية يكون من خلال تشييد الذات على قاعدة راسخة متكون من الايمان بالله تعالى؛ لتكون منطلقاً في اكتساب المعارف والخبرات وأداء الإجراءات والسلوك.

المبحث الثالث

البناء التربوي

إنَّ أحاديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أكدت على هذا الجانب من بناء الشخصية الإسلامية في موارد متعددة، ويجب أنْ تظهر آثار ذلك على سلوك الإنسان في تعامله مع الآخرين؛ لبيان مقام هذه الشخصية، ونتحدث عن ذلك في مطلبين يتعلق الأول بحقوق الإخوة، والآخر بالأسرة.

المطلب الأول: حقوق الإخوة.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَكُوْنُ ذَا وَجْهَيْنِ، وَذَا لِسَانَيْنِ، يُطْرِيْ أَخَاهُ شَاهِداً، وَيَأْكُلُهُ

(١) الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٥٥، باب (التفكر) الحديث ٣.

غَائِباً، إِنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ، وَإِنِ ٱبْتُلِيَ خَانَهُ»[١].

إنَّ من أهم تلك التوصيات المهمة القائمة على بناء العلاقات التربوية بين المؤمنين، هي العلاقات الخاصة بين الأخوة في الدين، والتي حددها الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حديثه المبارك، والتي يمكن بيانها في أربعة صفات مذمومة يحذر منها، ويؤكد آثارها السلبية، بما يجب على المؤمن أنْ يحصن نفسه من أمراضها وآثارها التي تلوِّث فطرته، وتهدم سمو أخلاقه، وإنَّ أهم أسباب ذلك لعدم قيام العلاقات مع الآخرين على أسس المحبة والصدق، بل على أسس الخداع والنفاق، وهذه العلاقات قد حذرت الروايات الشريفة الواردة عن النبي والأئمة عليهم السلام منها.

وهذه الصفات الأربع المذمومة بإجمال هي:

١- المدح الزائف والكذب. (يُطْرِيْ أَخَاهُ شَاهِداً)

إنَّ هذه الصفة المذمومة هي أولى الصفات التي يحذر منها الإمام العسكري عليه السلام، ويجب علينا في منهج بناء الشخصية أنْ نحذر منها، ونحذِّر الناس آثارها السلبية على الشخصية، وقد يؤدي ذلك إلى خصلة سلبية خطيرة جدّاً وهي (النفاق)، وقد حذرت الشريعة المقدسة منها في كثير من مواردها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾[٢]، وأما فيما ورد في المدح المذموم فعن الإمام علي عليه السلام: «مَادِحُ الرَّجُلِ بِمَا لَيْسَ فِيْهِ مُسْتَهْزِىءٌ بِهِ»[٣] فالإمام يؤكد أسباب ذلك المدح، وهو الاستهزاء والسخرية من الآخرين، ولا يخفى ما في ذلك من صفات لا تليق بالإنسان عامة، وروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله في بيان هذه الأمراض الأخلاقية: «مَنْ مَدَحَ غَيْرَ الْمُسْتَحِقِّ، فَقَدْ قَامَ مَقَامَ الْمُتَّهَمِ»[٤]، وهناك روايات متعددة تؤكد على أسباب وغايات مختلفة لهذه الصفة.

٢- الغيبة والنميمة. (وَيَأْكُلُهُ غَائِباً)

إنَّ الغيبة من أشد الأمراض الاجتماعية وأخطرها في العلاقات المتعددة، ولو تأمَّلنا الوصف القرآني لها لرأينا قبحها، وآثارها في فساد النفس وإفساد الآخرين،

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦١.

(٢) سورة النساء،الآية١٤٥.

(٣) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٨٦.

(٤) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٧، ص٢٨٦٣، باب (المدح) الحديث ١٨٦١١.

مجلة تراث الإمام العسكري
العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م

حيث قال تعالى في بيان حقيقتها: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[١]، بل هي من كبائر الذنوب[٢] التي يجب على المؤمنين آجتنابها، وإنَّ حديث الإمام العسكري عليه السلام فيه تحذير من ذلك، وبيان نحو تربية النفس تربية صالحة عن هذه الأمراض التي فيها أمراض وأعراض سلبية متعددة، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام والتحذير من ذلك أنه قال: «إِيَّاكَ وَالْغِيبَةَ، فَإِنَّهَا تُمَقِّتُكَ إِلَى اللهِ وَالنَّاسِ، وَتُحْبِطُ أَجْرَكَ»[٣]. فالحديث ظاهر في بيان آثار الغيبة في الدنيا والآخرة، وعند الله تعالى والناس، وهذا هو الخسران الكبير، الذي يجب على العقلاء فضلاً عن المؤمنين تحصين أنفسهم منه، وإنَّ أضرارها يشمل المستمع لها كذلك فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ رَدَّ عَنْ أَخِيهِ غِيْبَةً سَمَعَهَا فِيْ مَجْلِسٍ رَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الشَّرِّ فِيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَإِنْ لَمْ يَرُدْ عَنْهُ وَأَعْجَبَهُ، كَانَ عَلَيْهِ كَوِزْرِ مَنِ اغْتَابَ»[٤]، وهذا يؤكد مدى إفساد الغيبة في المجتمع، بل تتعلق بالسامع لها أحكام شرعية عليه القيام بها.

٣- الحسد. (إِنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ)

إنَّ الحسد من الصفات المذمومة كذلك، والذي حذرت منه الشريعة المقدسة في موارد متعددة؛ حفظاً للمؤمنين من هذه الأمراض التي تلوِّث فطرتهم السليمة، ولا يخفى آثارها الكبيرة التي تؤدي إلى فساد كبير بين الأحبة والمقرَّبين، وإنَّ ما جرى بين الأخوين قابيل وهابيل هو من آثاره، فكان نتيجة ذلك أنْ يقتل قابيل أخاه هابيل، وفي ذلك درس بليغ في الموعظة والتحذير من هذه الأمراض الخطرة؛ لذلك نرى في حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام ذلك التحذير (بئس العبد)، هناك روايات متعددة عن الأئمة في بيان حقيقة الحسد تارة، وصفات الحاسد

(١) سورة الحجرات، الآية١٢.

(٢) قال السيد علي السيستاني (دام ظله) في بيان المعاصي التي ترتفع بها العدالة عند مرجع التقليد: «مسألة٣٠ إنَّ من أعظم المعاصي... وغيبة المؤمن، وهي أنْ يُذكر بعيبٍ في غيبته... ويجب النهي عن الغيبة بمناط وجوب النهي عن المنكر مع توفُّر شروطه، والأحوط الأولى لسامعها أنْ ينصر المغتاب ويردَّ عنه، ما لم يستلزم محذوراً»، السيستاني، السيد علي الحسيني، منهاج الصالحين، ص١٢-ص١٤.

(٣) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٩٦.

(٤) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص٣٣٣.

العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م

ثانية، وآثارها ثالثة وغير ذلك، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام في بيان حقيقة الحاسد قوله: «الْحَاسِدُ يُظْهِرُ وُدَّهُ فِيْ أَقْوَالِهِ، وَيُخْفِيْ بُغْضَهُ فِيْ أَفْعَالِهِ، فَلَهُ ٱسْمُ الصَّدِيْقِ، وَصِفَةُ الْعَدُوِّ»(١)، إنَّ هذه الصفات التي تذكرها الرواية تؤكد مساوىء الأخلاق التي يجب على المؤمنين ٱجتنابها، والتي تدل على الأنانية التي يكون عليها الحاسد، وهذا ما يبيِّنه حديث الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «النَّصِيْحَةُ مِنَ الْحَاسِدِ مُحَالٌ»(٢) وهذا الحال بسبب كون هذا المرض غَدَا مَلَكَة عند صاحبها، فتطفىء نور فطرته.

٤- الخيانة. (وَإِنِ ٱبْتُلِيَ خَانَهُ)

إنَّ الخيانة من رذائل الأخلاق التي لا خلاف فيها عند الناس عامة، والخائن إنما هو أحد المفسدين في المجتمع، ويجب وضع حَدٍّ له والتحذير منه ومن آثاره الإفسادية المختلفة، والنظام الإسلامي قد حذَّر من هذه الأمراض التي تضر ببناء الفرد والمجتمع، قال تعالى محذِّراً المؤمنين من ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(٣)، والروايات الواردة في التحذير من ذلك متعددة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ مُسْلِماً فِيْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ»(٤)، ويبيِّن عن الإمام علي عليه السلام الآثار الكبيرة للخيانة في المجتمع وأنها لا تتعلق بالخائن نفسه: «إِذَا ظَهَرَتِ الْخِيَانَاتُ ٱرْتَفَعَتِ الْبَرَكَاتُ»(٥)، فتحذير الإمام العسكري عليه السلام إنما هو لتحصين الفرد والمجتمع من هذه الأمراض الخطيرة، والتي لها أثر سلبي كبير على بناء الشخصية الإسلامية وتربيتها.

إنَّ هذه الخصال الأربع التي حاول بيان بعض ما يتعلق بها الإمام العسكري عليه السلام تؤكد المنهج السليم الذي يجب أنْ يكون عليه المؤمنون عامة؛ خوف مخالفة الفطرة السليمة، والأخلاق الإنسانية، وتعاليم الشريعة المقدسة التي تؤيد الفطرة والأخلاق، حيث إنَّ النظام الإسلامي جعل في تشريعاته فقرات عظيمة متعددة تؤكد الجوانب الإنسانية في بناء العلاقات الاجتماعية عامة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «للمسلم على أخيهِ ثلاثونَ حقّاً، لا

(١) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٧.

(٢) الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، الخصال، ص٢٩٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية٢٧.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٧٢.

(٥) الآمدي التميمي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٦٠.

براءةَ له منها إلا بأدائِها أو العفو: يغفرُ زلَّتَهَ، ويرحَمُ عبرتَهُ، ويستُرُ عورتَهُ، ويقيلُ عثرتَهُ، ويقبلُ معذرتَهُ، ويردُّ غِيبتَهُ، ويديمُ نصيحتَهُ، ويحفظُ خِلَّتَهُ، ويرعَى ذِمَّتَهُ، ويعودُ مرضَهُ، ويشهَدُ ميتتَهُ، ويجيبُ دعوتَهُ، ويقبلُ هديتَهُ، ويكافِئ صِلتَهُ، ويشكرُ نعمتَهُ، ويحسنُ نصرتَهُ، ويحفظُ حليلتَهُ، ويقضي حاجتَهُ، ويستنجِحُ مسألتَهُ، ويسمِّتُ عطسَتَهُ، ويرشدُ ضالَّتَهُ، ويردُّ سلامَهُ، ويطيبُ كلامَهُ، ويبرُّ إنعامَهُ، ويصدِّقُ أقسامَهُ، [ويوالي وليَّهُ] ولا يعاديهِ، وينصرُهُ ظالماً ومظلوماً -فأمَّا نصرتُهُ ظالماً فيردُّهُ عن ظلمِهِ، وأمَّا نصرتُهُ مظلوماً فيعينه على أخذِ حَقِّهِ-، ولا يسلمُهُ، ولا يخذلُهُ، ويحبُّ له من الخيرِ ما يحبُّ لنفسِهِ، ويكرَهُ له [من الشرِّ] ما يكرَهُ لنفسِهِ. ثم قال عليه السلام: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: إنَّ أحدَكُمْ لَيَدَعَ من حقوقِ أخيهِ شيئاً فيطالِبُهُ بِهِ يومَ القيامةِ فَيُقْضَى لَهُ عليهِ».

المطلب الثاني: الأسرة.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«جُرْأَةُ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ فِيْ صِغَرِهِ، تَدْعُوْ إِلَى الْعُقُوْقِ فِيْ كِبَرِهِ»[1].

إنَّ للأسرة في الشريعة الإسلامية آعتناءً كبيراً من جميع جوانبها المختلفة؛ لما للأسرة من أثر كبير في بناء الفرد والمجتمع بصورة خاصة، والأمة وكيانها بصورة عامة، وهذا ما يمكن قراءته من خلال التأمل بالآيات القرآنية المباركة، ونصوص الروايات الشريفة التي أكدت تلك الأهمية، فالتربية الأسرية قائمة أساساً على منهج الزوجين في التعامل مع أبنائهما، وهذا المنهج قائم قبل ذلك على طبيعة آختيار الزوجين، فهي مسألة مهمة جدّاً؛ لذلك نرى آعتناء الشريعة المقدسة في ذلك آعتناءً كبيراً.

فالأسرة في الإسلام لها مقام كبير، والله تعالى يخاطبهم محذِّراً من ضياعها وآنحرافها وما في ذلك من آثار سلبية كبيرة في الآخرة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[2]، فهذه الوقاية قائمة على مقدمات منتظمة لأجل الوصول إلى نتائج منتظمة كذلك، ومن أهم تلك المقومات التي لا بد من رعايتها هو الاحترام المتبادل في الأسرة، وعدم التهاون في ذلك، وقد أشار الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى بيان بعض الآثار السلبية في التهاون من خلال هذا الحديث.

(١) الحراني، تحف العقول، ص٣٦٢.

(٢) سورة التحريم، الآية٦.

العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م

وإنَّ هذه الجرأة التي أشار إليها حديث الإمام العسكري إنما هي آثار التربية الأسرية غير القويمة، أو غير السليمة القائمة على أُسس تربوية معينة، فالنظام الإسلامي قد أكد الحقوق والواجبات القائمة على الآباء تجاه أبنائهم؛ لتربيتهم تربية سليمة وتحافظ على فطرتهم وأخلاقهم وعقيدتهم، وتحفظهم من أيِّ انحراف يواجههم، وهناك روايات متعددة في هذا الجانب، مما يؤكد مدى الاعتناء بالأسرة إجمالاً، وتقع المسؤولية الكبرى على الآباء في معرفة أسس ذلك المنهج؛ ليكونوا على علم وبينة من ذلك من جهة، والعمل على أساسه من جهة أخرى، فإنَّ فيه أثراً كبيراً في بناء شخصية الأبناء وما يتعلق بمسؤولية الآباء:

- روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «أَدِّبُوْا أَوْلَادَكُمْ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: حُبِّ نَبِيِّهِ، وَحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»[١].

إنَّ هذه الخصال الثلاث في الآداب التي ذكرها الحديث لها أثر كبير في تربية الأبناء تربية إسلامية، تمهِّد إلى بناء شخصية قائمة على التربية العقدية القويمة، القائمة على تلك الدعائم الثلاث، والتي تركِّز أولاها على محبة النبي صلى الله عليه وآله، هذه المحبة التي تربط الأبناء بتعاليم الشريعة المقدسة، من خلال التعرُّف على سيرته المباركة، وجهاده العظيم في سبيل الله تعالى ونشر دينه، فضلاً عمَّا ورد من آداب كثيرة لها أبلغ الأثر في بناء الفرد والمجتمع، واتِّخاذه أسوة حسنة كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾[٢].

وأما حُبُّ أهل بيته عليهم السلام ففيه تأكيد على منهج الولاية الإلهية، والتسليم لأمر تعالى وطاعته في ذلك حيث قال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[٣]، حيث مقامهم العظيم (صلوات الله عليهم) كما في الحديث (وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ، وَأَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ)[٤]، والتأسِّي بمنهجهم وما ورد عنهم في من تعاليم الشريعة المقدسة.

وأما قراءة القرآن الكريم فإنَّ تعلُّمه إنما هو تعلُّم لأعظم منهج لهداية البشرية وصلاحها ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي**

---

(١) السيوطي، الجامع الصغير، ج١، ص٥٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية٢١.

(٣) سورة النساء، الآية٥٩.

(٤) الحراني، تحف العقول، ص٢٢٣.

هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[١]، والتعرُّف على مبادىء الإسلام وتعاليمه وعدم مخالفة ذلك لما فيه من آثار سلبية على الشخصية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾**[٢]، وما أعده الله تعالى لعباده إذا آلتزموا بتعاليمه المباركة ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٣] وغير ذلك من تعاليم عظيمة في مجالات الحياة المختلفة التي لها أثر في تربية أبنائنا وتحصينهم، والمحافظة عليهم من الجرأة على الآباء وعقوقهم كما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام.

- روي عن الإمام علي عليه السلام: «حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ»[٤].

إنَّ تأكيد الحديث على هذه الموضوعات الثلاثة لما فيها من أهمية كبيرة على الأبناء، وتربيتهم على أساس ذلك فيه أهمية في تربية الأبناء، فالاسم الصالح يذكِّره بالصالحين الذي يشبه اسمه أسماءهم، وتعليم الآباء أبناءهم تلك الأسماء العظيمة في التاريخ.

وأما الأدب فهو أساس الأخلاق الفردية والاجتماعية التي يحتاج إليها الإنسان؛ لمعرفة الآداب الإسلامية الخاصة التي اعتنى بها النظام الإسلامي، وعدم الاغترار بالسلوكيات الغريبة عن الثقافة الإسلامية القائمة على القِيم النبيلة، الموافقة للفطرة الإنسانية.

وأما تعليمه القرآن الكريم؛ لأنَّه النور الإلهي الذي يخرج به الإنسان من الظلمات بتمسك تعاليمه ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**[٥].

- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «الْغُلَامُ يَلْعَبُ سَبْعَ سِنِيْنَ، وَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَ سَبْعَ سِنِيْنَ، وَيَتَعَلَّمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ سَبْعَ سِنِيْنَ»[٦].

---

(١) سورة النساء، الآية٩.

(٢) سورة الصف، الآية٢-٣.

(٣) سورة النحل، الآية٩٧.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٢٤٩.

(٥) سورة إبراهيم،الآية١.

(٦) العاملي، محمد بن الحسن، الحر وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة،ج٢١، ص٤٧٥ باب (استحباب تعليم الصبي الكتابة والقرآن سبع سنين والحلال والحرام سبع سنين، وتعليمه

إنَّ هذا الحديث المبارك يؤكِّد على مراحل ثلاث يمر بها الأبناء ولها أهمية في علاقة الأبناء بآبائهم، وهذه المراحل -فضلاً عمَّا يتعلق بمدَّتها- تؤكد المنهج الإسلامي في التربية، وعدم ترك الأبناء بلا رعاية ومعاهدة ومتابعة، وفي ذلك دعوة في الوقت نفسه إلى أنْ يقوم الآباء بدورهم الأساس تجاه الأبناء؛ حتى يتم آجتنابهم الانحراف العقدي أو الأخلاقي ويؤدي مستقبلاً إلى مشاكل كبيرة متعددة، ومنها العقوق كما ورد في حديث الإمام العسكري عليه السلام، حيث لا يخفى أنَّ العقوق هو نتيجة مقدمات غير سليمة في التربية، أو نتيجة آنحرافات تربوية.

وإنَّ تحذير الإمام في هذه الرائعة التربوية لأجل تجنُّب المؤمنين وتحصينهم من هذا الانحراف الكبير (العقوق)، فالعقوق من الكبائر التي حذرت منه الشريعة المقدسة بأشد التحذير فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْكَبَائِرِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْعَاقَّ عَصِيّاً شَقِيّاً»[1]، فيجب أنْ تكون العلاقة مع الوالدين قائمة على ما يريده الله تعالى، حيث قال عز وجل في آية صريحة التأكيد على برِّهما من جهة، والتحذير عن عقِّهما من جهة أخرى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾[2]، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: «يُقَالُ لِلْعَاقِّ آعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنِّيْ لَا أَغْفِرُ لَكَ، وَيُقَالُ لِلْبَارِّ آعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنِّيْ سَأَغْفَرُ لَكَ»[3].

إنَّ جميع ما تقدم من الآيات المباركة والروايات الشريفة هو تأكيد لما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيما يتعلق بهذه التربية الأسرية الخاصة، والتي تحاول أنْ يتجنَّب المؤمنون ذلك؛ رعاية لبناء أسرة صالحة قائمة على (المودة والرحمة) بين الزوجين من جهة، وإكرامها وتعظيمهما من قبل الأبناء من جهة أخرى.

السباحة والرماية)، الحديث ٢.

(١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٤٧٩ باب (العلة التي من أجلها حرم عقوق الوالدين) الحديث ٢.

قال السيد علي السيستاني (دام ظله) في بيان المعاصي التي ترتفع بها العدالة عند مرجع التقليد: «مسألة٣٠ إنَّ من أعظم المعاصي... وعقوق الوالدين، وهو الإساءة إليهما بأي وجه يعدُّ تنكُّراً لجميلهما على الولد»، السيستاني، السيد علي الحسيني، منهاج الصالحين، ص١٢.

(٢) سورة الإسراء،الآية٢٣.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧١، ص٨٠.

مجلة تراث المشارع
العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م

ونستنتج مما تقدم ان الإمام الحسن العسكري عليه الصلاة والسلام حث على بناء الشخصية الإسلامية تتسم بالسمات السوية فقط من خلال التحذير الشديد في اكتساب أي فكر أو سلوك سيئ وجعله جزءاً من الذات.

خاتمة وتوصيات:

١- إنَّ الشريعة المقدسة لها دور كبير في المناهج التربوية التي لها علاقة بتربية الإنسان بصورة عامة، والمسلم بصورة خاصة وما في ذلك من أهمية لمراجعة تلك التعاليم المقدسة المتعلقة بذلك؛ حفظاً للفطرة الإنسانية.

٢- إنَّ الشعوب قد أخفقت أنظمتها التربوية في إيجاد نظام أمثل للحفاظ على الأخلاق والمبادىء والقيم التربوية؛ لرجوعها إلى أمثالها من البشر في وضع قوانينها، والإسلام قد أكَّد في تشريعاته المختلفة في الجوانب العبادية وغيرها على إيجاد الحل الأمثل لمشاكل الإنسان من جهة، وتحقيق سعادته من جهة أخرى.

٣- إنَّ التراث التربوي للإمام الحسن العسكري عليه السلام تراث مهم في بناء الشخصية الإسلامية، وقد تبيَّن من خلال البحث أهمية ذلك في بعض الجوانب، وهذا يستدعي عمق الدراسات التربوية في ذلك؟

٤- أكَّد البحث على جوانب تربوية ثلاثة لما لها من آثار كبيرة في بناء الفرد والمجتمع، ومما يجب على النظام التربوي الإسلامي مراعاتها في المجالات المختلفة.

٥- إنَّ هذه القراءة الموازنة بين روايات الإمام الحسن العسكري عليه السلام ونصوص الثقلين (القرآن والعترة) تؤكِّد وحدة المنهج الإلهي في النظام التربوي الأكمل.

٦- يوصي الباحث بضرورة تضمين المناهج التدريسية هذه الدراسات والروايات التربوية والإصلاحية؛ لبيان عظمة التشريع الإسلامية وأهميته في مجالات الحياة المختلفة.

٧- يوصي الباحث بأهمية التأكيد على الدراسات الموازنة أو المقارنة بين النظام التربوي الإسلامي والمناهج التربوية الحديثة الأخرى؛ للإفادة من تلك الروايات الشريفة المباركة.

٨- يوصي الباحث بأهمية آختيار مجموعة من الأحاديث التربوية للإمامين العسكريين عليهما السلام وترجمتها إلى اللغات العالمية المختلفة؛ ليطلع الآخرون على هذه الدرر الإنسانية النفيسة، والتي لها أثر كبير في التربية.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

١. الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، تحقيق علي آل كوثر، دار التعارف، بيروت، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، د.ط.

٢. التميمي، عبد الواحد الآمدي (ق٥هـ)، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مطبعة ستار، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، الناشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

٤. الحراني، أبو محمد الحسن بن شعبة، تحف العقول، تعليق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٥. ذهبيات، عباس، دور العقيدة في بناء الإنسان، الناشر مركز الرسالة، مطبعة

مجلة تراث الإمامية
العدد الثاني عشر
السنة السادسة
١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٥م

ستارة، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٦. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق دار الحديث، دار الحديث، الناشر دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ.

٧. السيستاني، السيد علي الحسيني، منهاج الصالحين، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١٩، ١٤٣٤هـ ٢٠١٢م.

٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، الجامع الصغير، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

٩. الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، نهج البلاغة، شرح محمد عبده، مطبعة الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت.

١٠. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، الخصال، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة، ط٩، ١٤٣٤هـ.

١١. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، تصحيح وتقديم وتعليق الشيخ حسين الأعلمي، مطبعة سليمان زاده، قم، ط٥، ١٤٣١هـ.

١٢. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، د.ط.

١٣. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه(ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات في مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

١٤. الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٥. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، قدَّم له السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٦. علي، حسن محمد، الشخصية الإسلامية مقوماتها معالمها نتائجها، إصدارات مكتبة سيد الشهداء عليه السلام العامة في كربلاء، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ، د.ط.

١٧. الكاظمي، عماد، الملامح التربوية

في نهج البلاغة – وصية أمير المؤمنين – إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام، معالم الفكر، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

١٨. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، حيدري، طهران، ط٥، ١٣٦٣ش.

١٩. المامقاني، الشيخ عبد الله (ت١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، مرآة الكمال لمن رام مدارك الأعمال، تحقيق الشيخ محيي الدين المامقاني، مطبعة نكارش، قم، ط٥، ١٤٢٧هـ.

٢٠. المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت١١١٠هـ/ ١٦٩٩م)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢١. النراقي، الشيخ محمد مهدي (ت ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م)، جامع السعادات، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، دار النعمان، النجف الأشرف، ط٤، د.ت.